

الانقلاب الفكري

هول الازهر واصلا

نشرنا في هذا العدد مذكرة صاحب الفضيلة الشيخ المراغي برمتها ، لا لانها اقوم ماقرأنا لعالم ديني في اصلاح الازهر ، ولا لانها قد صيغت في قالب من الحرية الفكرية جدير بكل تبجيل واحترام لاغير ، بل لان الازهر اذا اُصلح على القواعد الاولى التي عبر عنها الاستاذ المراغي احسن تعبير وشرحها احسن شرح ، بلغنا من الازهر تلك الامنية التي طالما تمنيناها للعالم والدين في ارض مصر ، محور العالم الاسلامي ، ومنبع التطور الحديث في الشرق العربي كله .

وما أعرف من سبب يصد الازهر عن التقدم والارتقاء ، بل وعن التفكير في أن يسير خطا الحركة الارتقائية التي اخذ كل الشعب المصري بضرب فيها بقدم ثابت ، حتى قرأت هذا التمرير التاريخي ؛ فعلمت أن الازهر كانت تنقصه ، كما كان شأنه في كل عصر الحديث ، رأس مفكرة وضمير حر ؛ وعقل تدرب على فهم الحقائق على صورتها الصحيحة ، يسير حركة التقدم العام الذي ضربت فيه مصر على أثر الامم الغربية ، وانه اذا وحد الشخص الذي يزود بهذه الصفات ، استطاع الازهر أن يجد التكاثر التي يتكئ عليها ليخطوا الى الامام مسائرا بتمية النظامات التي تقوم عليها مدينتنا ؛ واستطاع على الاقل أن يخلص من المؤثرات التي تمتد باسمه ، كمؤثر الخلافة ، وهو بعيد عن أن يمد لهذه الحركات الاجنبية ييد ، أو يعضدها بميل أو شبه ميل ، لولا رؤوس ملئت بكل شيء الا بالعلم ، ونفوس عميت بكل شيء الا بالايمان ، وكانت تحمل الرأس التي تقوم على الازهر وعلى أهل الازهر ، لتحول بينه وبين مفاسد أهل العالم الذين انحنى عليهم الامام محمد عبده بكل لوم وهو على فراش الموت قتال

ولست أبالي أن يقال محمد ابل أم اكتظت عليه المآتم
 ولكن ديناً قد اردت صلاحه احار أن تقضى عليه العمام
 فيارب ان قدرت رجى قريبة الى عالم الأرواح وانقض خاتم
 فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهرج والليل قاتم
 وهما هو النهرج قد بدأ يستضيء ويستهدي بنفس المبادئ التي ذهب الامام
 ضحيتها ، وكان قد بدأ صيته وخدمته بين الجامدين ، مقدمة لتقدم حياته
 وصحته في سبيل الازهر وأهل الازهر .

ان النظام الذي تبع الازهر التزمه خلال كل عصوره منذ أن شيد القواعد
 جوهر حتى أواخر القرن التاسع عشر ، أي منذ أن خطب فيه باسم القاطمين
 لأول مرة إلى العصر الذي بدأ الاستاذ الامام يفكر وقليلاً من صحبه الذين
 طوى بعضهم الموت ولا يزال بعضهم الى اليوم حياً يرزق في اصلاحه ، لنظام
 فيه من البعد عن عقلية العصر الحاضر ، بقدر ما في القول بأن الارض مركز
 النظام الكوني ، وبأن الانواع خلقت مستقلة ، وبأن زوايا المثلث تساوي أربع
 قوائم ، عن الحقيقة . وابن كان في التمام مؤتمر أعرج مثل مؤتمر الخلافة في جوف
 الازهر وتحت ظل الازهر وظل أساتيد ذوي العباء الضخمة ، والعقول الفارغة شيء
 من طيب النزعة أو حسن الاثر ، إذن فيكون في الازهر على ما هو الآن أثر من
 حب الحق أو الاستقلال في الرأي أو الاعتدال في الرغبات أو القصد في الغايات
 ولعمرك كيف تقول في الازهر وفي أهل الازهر وفي أساتيد الازهر ، وأنت لا تقوم
 من حركة سياسية في هذه البلاد الا وتتجه الانظار الى الازهر لترى ماذا يكون
 من اتجاهه ازاء تلك الحركة من طريق ادارة المعاهد الدينية ورءوس المعاهد
 الدينية ، ليعرفوا معرفة حقة من أين سوف تهب رياح الحوادث في الغد القريب .
 أليس في هذا وحده دليل كاف على أن الازهر يحتاج الى اصلاح ويحتاج قبل
 كل شيء الى الخروج من ميدان السياسة خروجا تاماً ليتفرغ أهله الى الدين

والدنيا ؟ أليس الأزهر في احتياج إلى أن يتحرر أهله من التقاليد والاساطير ،
 بل ومن فساد النزعات الانسانية ، ليكون مثابة للتقى ، وهبطاً للورع ، ومباعدة
 لقيام الليل والنهار ، ومنزلاً لسجود العشي والاصائل ، لا مركزاً للدعاية لمثل مؤتمر
 الخلافة والعوية الخلافة ، ونزوة الخلافة ، بل وان شئت فقل أضحوكة الخلافة .
 وما هي بأضحوكة . بل كانت جداً ، سار فيه الأزهر ، استغفر الله بل أكبر
 عمائم ، وراء زخرف الدنيا بما فيها من ولائم وكرائم ، وأكل وشرب وتكثير من
 الاموال والثمرات ، لولا أن تداركنا والمحمد لله صاحب الاسطول بأسطوله ، وصاحب
 الطول بطوله ، فجعلها أضحوكة بعد أن كانت غمرة فتحت لنا فوها ، وفجوة من
 فجوات جهنم لم ينقذنا منها الا شيطان رجيم .

وانى مع هذا لا أظن أن صاحب الفضيلة الشيخ المراغى يستطيع أن ينفذ
 برنامجـه الاصلاحى الكبير ومن حوله تلك العمائم التى اعتادت على أن يكون
 الأزهر مباءة لقاذوراتهم ، يدخلونها اليه كلما كئسها الفراشون وحماها عمال
 مصلحة الصحة الى مجارى القاهرة . بل أعتقد أن الأزهر لن يتطهر الا اذا ظهرت
 ادارته من أشباه الرجال الذين كاد الأزهر ان يلبس على الدين بسعيهم أثواب
 الحداد ، ويقم للهدى واليقين والايان جنازة ترقص فيها عجائز القرى اللاتى
 تعين من كثرة ما حمل أهلهم الى الأزهر — وهو يعلم الله براء — من فطائر وسمن
 وأرز وثياب وأموال ، ماضعت الا هدر ولا ذهب الاسدى ، وما خرج الأزهر
 بها الا جهلاً يتحرك بين القرى ، والا غواية تسير فى الطرقات ، ماله فى الدنيا
 من أثر وماله على الدين من فضل ، الا تحاييل المحرمات بفتاوى ما أنزل الله بها
 من سلطان ، وما عرفها الدين ولا أهل الدين ، فمن محاللات لا يعرفها الشرع
 الى زواج متعة ماهو الا السفاح والسفاح اهدى ، بل وياسيدى الاستاذ المراغى ،
 الى بيع غفرانات كما كان يفعل قساوسة الكنيسة فى القرون الوسطى .
 والله لو أن محمداً كان قد قتل كما قتل الكثيرون من أصحابه ، أولواؤه صلب

كما صلب المسيح لبيعت قطرات دمه من خربجي الازهر على الطريقة التي يتخرجون
 بها من أيدي ذوى العمام ، عربونا على دخول الجنة وبناء قصور لبناتها من فضة
 وذهب وأرضها من جوهر وسقوفها ممردة بالمرمر والزبرجد والفاروز . ألم يبيع أهل
 الكنيسة دم المسيح على اعتبار ان قطرة واحدة من دمه كافية لتغايص العالم ،
 اذن فهم فى حل من بيع بقية القطرات لمن يريد لها ليفوز بالجنة ويعبر اليها
 المطهر فى سلام ، بل وليكون منذ هلكه الى يوم مبعثه فى مستوى أهل سيراف
 وملائكة الكروبيم ؟

يا صاحب الفضيلة : انما نزل من دم الازهر تسعا وتسعين جزءا ولم يبق
 الا جزء واحد . وهو كاف على ما أدري ليعيد الحياة الى هذا المعهد بل الى هذه
 الجامعة التى يجب ان يجمع التعاليم فيها بين نفع الدنيا ونعيم الآخرة . فعليك بالمطهرات
 القوية لتقتل بها تلك الجراثيم التى لاتزال سابحة فى ذلك الجزء تحاول امتصاصه .
 صب عليها من المطهرات قدرا يقتلها سريعا وفز بجزء من دم الازهر تحيى به بقية
 الاعضاء التى ماتت وما تنتظر الا اللحد ثم قيامة الجنائز والنواح على مجد زال
 ودين كاد يدركه الزوال .

وما مثل دعاة الاصلاح من أهل الرياسة فى الازهر الا كمثل المعرى حيث
 يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتى وان قلت الصحيح اطلت همسى
 اطل همسك يا صاحب الفضيلة ولا تعبأ بجراثيم ما عاشت الابن بلايخ السنن
 والجنين وما تكاثرت الابن الانات والآهات ترسلها الامهات الفقيرات والآباء التاعسين
 لا شئ يأسى يدى الا ليخرج لهم من الازهر بين ناجح نجيب يقر عين اهله بمحلل حرام ،
 أو بمحرم بحلاله . وما ذاك الا اذاء دربهات يأنف السائل المتجول فى الطرقات ان يمد لها
 يداً او يحسب اذا اخذها أن رأس ماله قد تكثر أو أن حاجته قد سدت . كل

هذا والازهر في ما كوت الله يسبح في غفوة كأن الزمان ما تحرك من حوله وكأن
الفلك مدار . أما اهله فلا تأخذهم عما تدلم ومالا تعلم وما أنت به اعلم ،
سنة ولا نوم .

وبعد . فيا صاحب الفضيلة : ففي الازهر نواة طيبة اقصصتهم الاغراض عن أن
يكون لهم في الازهر كلمة تسمع او صوت يرفع . وما اعرفك عنهم فانت بهم مني
اخبر . فخذ هؤلاء عدتك في اصلاحك وفقك الله ورضى عنك وارضاك